مقاربة سيميولسانية في- قصة أصحاب الكهف- نموذجا

أ. كريبع نسيمة
جامعة جيجل - الجزائر

ـ مدخل:

تعدّ مسألة مقاربة القرآن الكريم مقاربة حداثية (**سيميو لسانية**)، تتطلب الكثير من الجهد والرؤى المعرفية، والعلمية للعلامات النصية التي تتمركز داخل البنى العميقة للسور القرآنية وآياتها، وهذا لايظهر جليا إلاّ بالممارسة النقدية الواعية، وهذا بتحليل العلامات النصية، والدلالات المعرفية التي راحت تشكل الفضاء العام للسور القرآنية المراد دراستها في أبعادها الجمالية، والفكرية والفلسفية والروحية...إلخ، وهذا يجعل من القرآن الكريم موضوعا للتساؤلات النقدية، والتحريات الجديدة المتعلقة بمكانته اللّغوية والتاريخية.

طبعا إنّ المناهج التراثية في المحصلة جهود بنيت من داخل لغة النص، وعلى ضوء معايشته، وعلى وعي حقيقي لمفهوم " **النص**"، وتتضمن الكثير مما لم يتم استنفاذه أو الاستفادة منه، ولا شك أن تجاهل أو تجاوز ذلك الإرث الأصولي الضخم خسارة جسيمة في حق مناهج البحث والتأويل المعاصرة في قراءة النّص القرآني، ولن نبالغ إذا قلنا إن بعض المقولات التراثية متجاوزة في جوانب عديدة لمقولات تلك المناهج الأدبية واللّسانية الحديثة، كما أنّها في الوقت نفسه قاصرة عنها في جوانب كثيرة أيضاً، ومع ذلك تبقى تلك المناهج قادرة على قراءة مشروعة واعية للمقدّس الإلهي، والنّص القرآني بوصفه **نصًّا مقدّسا**، لابُدَّ أن ينتج دلالته باستمرار، فهو لا يخلق من كثرة الترداد، وبوصفه نصّاً لرسالة إلهية خاتمة لابُدَّ أن يكون معاصراً باستمرار، بحيث يصبح على الدوام مجاوزاً للتاريخ، وأمام الظروف الإنسانية لا خلفها [1].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ عملية البحث عن تحديد لمنهج دراسة النص القرآني ضرورة باتت ملّحة، ليست لعدم كفاية الخطاب التفسيري فحسب، بل لفتح آفاق معناه، وتفجير إمكاناته، فالنَّص القرآني يتجاوز دوماً المنهج بقدرمما يفتح للمنهج آفاقاً لقراءته، ويجب أن نلاحظ حاليا في معظم الدراسات القرآنية أنه يوجد اختلال توازن فضيع بين الاستهلاك الإيديولوجي للقرآن وبين الفكر النقدي الحر الذي يأخذ بعين الاعتبار كلّ المشاكل التي يطرحها البعد الإيديولوجي للقرآن، ولعلّ أول ما يثير الانتباه هو أنّ هذه المقاربة السيميائية التي نحن بصددها ستطرح المشكل الذي يقنن مستوى التفكير في كافة أبعاده، وسياقاته ومعانيه، وما نقترحه هنا هو عبارة عن دراسة تأويلية تراعي قداسة القرآن الكريم من جهة ومحاولة تطبيق المنهج السيميائي على سورة الكهف- قصة أهل الكهف- نموذجا.

المحور الأول: القرآن الكريم والدّراسات الحداثية :

بقيت إشكالية العلاقة بين القرآن الكريم، والمناهج النقدية بداية من التفسير التقليدي إلى المناهج الغربية محل بحث متواصل منذ القرن الماضي، ولا يختلف أحدٌ في أنّ الدراسات المعاصرة للقرآن الكريم أثارت العديد من الجدل القائم منذ مدة بكل ما تعنيه من فلسفات وعلوم ومناهج وأدوات بحث، بل وواقع يبسط نفوذه على حياة العالم، بغض النظر عن حدود هذا الموقف، وإذا حاولنا البحث في الدراسات التي اشتغلت على القرآن الكريم تحت مظلّة المعاصرة، فإننا سنقف على ثلاثة مراحل مختلفة مرّت بها تلك الدراسات:

ـالمرحلة الأولى: التفسير التقليدي للقرآن الكريم :

وهي التي بدأت مع الشيخ **محمد عبده**، حيث شهدنا ممارسة فعلية للتفسير والتأويل مستفيدة من معطيات العصر، حيث نجد محمد عبده قد نعى على العلماء عدم الاستفادة من العلوم الغربية الحديثة، وعندما شرع في تفسيره قام بتأويل القرآن الكريم طبقاً لتلك العلوم، والنظريات العلمية، والشيء نفسه مع "**طنطاوي جوهري**" في تفسيره المسمى "**الجواهر**" وهو تفسير يبرهن فيه على أن كل العلوم في الغرب موجودة في القرآن، وأن القرآن قد سبق إليها، ليطمئننا بذلك إلى أننا سبقنا عصرنا إلى كل ما يتطاول به الغرب علينا من علوم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حديثة، حيث يعتبر "**احميدة النيفر**" في كتابه الإنسان والقرآن وجها لوجه أن هذا التفسير هو نفخة ربانية وإشارة قدسية وبشارة رمزية لاغير، ثم مع **أبي زيد الدمنهوري** في كتابه الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، والذي خَلُصَ فيه إلى استنطاق القرآن بما يتلاءم مع أفكار العالم المعاصر، في المرأة والحدود..، إلخ، حتى جاء المصطلح معبّراً في عنوان "**التفسير العصري**" مع مصطفى محمود[2]، وأمام هذا الكم المعرفي في تفسير القرآن الكريم نستطيع أن نؤرخ – باطمئنان– لبداية البلورة العلمية لهذا المنهج باكتشاف الشيخ "**محمود محمد حجازي**" – بعد كتابته "**التفسير الواضح**" – **الوحدة الموضوعية في القرآن**" والتي كانت موضوع أطروحته للدكتوراه في الأزهر سنة 1967م، ومنذ ذلك الحين –وقد بدأ الاهتمام يزداد بهذا النوع من التفسير وغيرها من عديد الدراسات القرآنية التي شاعت في فترة السبعينيات.

عموما نجد أنّ معظم هذه الدراسات لم تخرج عن مناهج التفسير التقليدية، ولهذا لم تتجاوز التأويلات الإجرائية التي تناولت بعض الآيات بما يتلاءم مع مقولات العصر الشائعة، حتى لو خرقت تلك التأويلات الأطر المنهجية التقليدية في التفسير، بل إننا نجد في هذه المرحلة كيف وصل التفسير إلى مجرّد تأمّلات تتسم بالبساطة والسذاجة أحياناً، كما شملت عملية التأويل بعض أجزاء السور والآيات القرآنية المتعلقة بالإشكالات الفكرية المعاصرة، أو تلك التي يشتبه بها في استنطاق الاكتشافات العلمية الحديثة، ونظراً لاحتكام **التفسير/ التأويل** – في هذه المرحلة – إلى المناهج التقليدية في التفسير، وتعتبر أهم دراسة –حتى الآن– شملت وحدة القرآن الكريم بناء وموضوعا من (وحدة المفردات، السورة، الموضوع) هي دراسة البحث محمود البستاني "**عمارة السورة القرآنية**" التي طبعت مؤخراً، وأهمية هذه الدراسة أنها تبحث عن قوانين تحدد الأساس الموضوعي الذي يقوم عليه بناء السورة القرآنية من خلال القرآن الكريم كله.

فقد ظلّ مصطلح التفسير مهيمنا كاسم لهذه العملية التأويلية، ولارتباطها بالعصر فكان من الطبيعي أن يبرز مصطلح قراءة القرآن قراءة معاصرة تعبيراً عنها، ويبقى أن المنهج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوحيد الذي يمكننا وصمه بالأصالة الإسلامية في تلك الفترة هو منهج التفسير الموضوعي، الذي يعتمد على الدراسة الداخلية للقرآن، أي الاعتماد على مبدأ تفسير القرآن بـــالقرآن، والاكتفاء به، وهو ما يوقعه في إشكالية غاية في الخطورة، وهو تحوله إلى تفسير التفســـير، ذلك أن هناك مصدراً آخر هو السنة النبوية الشريفة غير مأخوذة بالحسبان، وإذا كنـــا لا نرى دمجها مباشرة بالدراسة الموضوعية للقرآن التي أثبتت جدواها وأهميتها باعتمادها على القراءة الداخلية للقرآن، فإننا ننبه هنا إلى ضرورة اعتمادها كخطـــوة ثانيـــة في التفســـير الموضوعي، بحيث يتم المواءمة بين نتائج التفسير الموضوعي ونصوص السنة الشـــريفة، وفي عموم الأمر نجد أنّ جلّ تلك الدراسات لازالت بعيدة عن البحث في خفايا القرآن الكـــريم واستنباط معانيه ودلالته العميقة داخل السور والآيات فكانت المناهج الغربية بدايـــة مـــن القراءة الواعية للخطاب القرآني من أجل عملية المكاشفة.

ـالمرحلة الثانية: القراءات اللّسانية للقرآن الكريم

ويحيلنا إليها "**مصطلح القراءة**"؛ الذي يشير إلى مصادر منهجيّة معاصرة هي منـــاهج النقد الأدبي واللسانيات الحديثة، فنحن هنا إذن أمام استخدام لـــ "**منـــاهج**" و"**آليـــات إجرائية**" جديدة في دراسة القرآن، نستطيع أنْ نقدّر بدايته في نهاية الســـبعينيَّات وبدايـــة الثمانينيات من القرن الماضي، حيث كانت المناهج النقدية واللّسانية قد أخذت حضـــورها إلى جانب الدراسات الأخرى خاصة في العالم العربي، وبدأت تتسرّب إلى كل شيء، فكان لنا أن نرى عام 1979م بروز مؤلف "**العالمية الإسلامية الثانية**" لأبي القاسم حاج حمـــد، والتي اعتمد فيها على مزيج من المقولات اللسانية والفلســـفية، ربمـــا لأوّل مـــرّة[3]، وفي الثمانينيّات ظهرت محاولة "**محمد أركون**" في "**قراءة**" التراث الإسلامي، وتأويـــل الـــنص الديني بناءً على مقولة "**المنهج التاريخاني**" وإلصاق النص بالتاريخ لتسويغ عمليـــة القـــراءة والتحليل، حيث نجده قد توسَّع في استخدام المناهج الحديثة وخصوصاً اللّسانية – ودراسة القرآن الكريم– على أساس المنهج التفكيكي، واستعمال آليات الألسنية الحديثـــة[4] ومـــا تطرح على النص من أسئلة تختلف جذريا عما كانت تطرحه اللغويـــات التقليديـــة الـــتي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استخدمها كبارالمفسرين في العصور السابقة، ثم معالجة الخصوصيات الثقافية والمجتمعية باعتماد الأنتروبولوجيا وما تتيحه من تحليل للمنظومات التفسيرية للعالم مثل "الأسطورة" وبتوظيف هذه الآليات التطبيقية يمكن لقارئ النص القرآني تجاوز الخطاب السطحي من خلال البحث في مضمراته، والكشف عن آليات عمله مما يتيح قراءة واعية بالنظام المعرفي، كما نجد "**نصر حامد أبو زيد**"، قد طرح في كتابه "**مفهوم النّص**" منهجه القائم على التأويلية (hermeneutic) من خلال نقد تراث علوم القرآن الذي يصدر عن عقيدة ماركسية، وفي كلا الحالتين كان يراد من المنهج التاريخي تأمين انسلاخ جماعي من النص القرآني، وسلطته من أجل الدخول في خضم الحداثة الغربية المادية عن قصد أو غير قصد، وقد سار على منوالهما " **حسن حنفي**" الذي حاول أن يؤسِّس لتفسير معاصر للقرآن الكريم اعتماداً على معطيات العصر المنهجية، ثم تلاه "**محمد شحرور**" في "**الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة**"[5] الذي اعتمد فيه على خليط من البنيوية والتاريخية، إذ نجده يمثل نموذج الخطاب الإيديولوجي المتأرجح بين المنهج اللاتاريخي التراثي وبين بداية القراءة العصرية التي تفسر النص عبر وضعيته التاريخية..، وغيرهم، كما يجد بنا الإشارة إلى دراسة التي كانت عام 1998م بالفرنسية لتلميذة محمد أركون "جاكلين الشابي" في أطروحتها للدكتوراه في جامعة السوربون، ويبقى أن تجربة المناهج الغربية في تأويل ودراسة القرآن الكريم منيت بالفشل جميعها.

والقرآن الكريم بوصفه نصاً مقدّسا، وإن كان لا يتجاوز الحدود اللّغوية، إلاّ أن مصدره الإلهي يجعل تلك اللّغة لا تتجاوز وصفها حاملاً فكرياً، ولا تتعداه إلى السجن الثقافي[6]، ولكن النصّ بوصفه منجزاً لغوياً، ونظاماً دلالياً عميقا معقدّا لإنتاج المعنى، يتضمَّن مستويين للدلالة: **مستوى أولي**: هوالمستوى النظامي للدلالة، بمعنى أن الدلالة تتشكّل فيه طبقاً لقوانين التركيب (**الصوتي، النحوي، الصرفي، التركيبي**)، وهنا الدلالة تنمو خطيّاً، وعليه لايكون التأويل والقراءة لأنّ الدراسة تبقى ثابتة عند المعنى الحقيقي للنص القرآني، أمّا في **المستوى الثاني**: فنجده مستوى الدلالة غير النظامي، هنا لا يمكن النظر إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النّص على أنه رصفٌ للكلمات، وتركيب للجمل فحسب، ولكن يُنظر إليه على أنه فضاء متعدد الأبعاد، حيث المعنى الكلي للجملة لا يساوي مجموع مفرداتها، والمعنى الكلي للنص لا يساوي مجموع جمله، وعلى هذا المستوى تكون مسألة القراءة والتأويل لكلّ المعاني والدلالات وفق المعنى اللّساني الذي يحدّد المعنى الكلّي والجزئي للخطاب القرآني.

والنص القرآني بما أنّه عبارة عن نسيج لغوي وتركيب جملي ينقل لنا تعليم اللّه تعالى للعباد في شكل أوامر ونواهي وعبر من خلال عرضه لقصص الأمم السابقة، نجد الباحثين والمشتغلين في حقل الدراسات القرآنية، قد يذهبون بعيد ا في دراساتهم إن لم تكن لهم ضوابط شرعية تحكمهم وسط تلك المناهج اللّسانية التي قد تجعل من نصوصه حقلا كبير من الدلالات والمعاني المعجمية واللّسانية دون قداسة تكون كحد فاصل بين الشرع اللّفظي والوضع التأويلي الذي نصل به إلى فضاءات الدلالة النصيّة والنص القرآني نص مقدّس، فعملية التأويل هي خرق للمقدس- عملية فوق لغوية- وإن كانت تستند إلى اللغة، والمفردات المعجمية ليست إلاّ أرضية ابتدائية تتحدد بها فضاءَات الدلالة النصّية، وحينئذ نجد أنّ أهل اللغة وغيرهم في معرفة ذلك سواء، وإنما يختصّ أهل اللغة بمعرفة الأسماء والألفاظ الموضوعة لمسمّياتها، بأن يقولوا إن العرب سمّت كذا بكذا، فأما المعاني ودلالات الكلام فليس يختصّ بها أهل اللغة دون غيرهم[7]، هذا فضلاً على أنّ اللغة -بهذا المعنى- أصبحت في متناول الباحثين، بعد أن تراكمت الجهود المدونة في جمع الألفاظ وتحليلها، وتقعيد اللّغة والكشف عن أنظمتها المتعددة التي تقوم بها، نجد السالف الصالح ممن كانت لديهم الآليات في قراءة القرآن الكريم لم يعد يمتلك تلك المرجعية التأويلية نظرا للتراكمات المذهبية والفكرية التي غزت الأمة العربية الإسلامية.

والملاحظ في هذه المرحلة من القراءات اللّسانية للقرآن أنّها تميّزت بعدّة خصائص ومميزات، حيث نجدها قد مارست قطيعة معرفية جذرية في مناهج التأويل مع التراث في حين تواصلت مناهج القراءات اللّغوية للقرآن معه، إلى حدّ التطابق، وهي نقلة سمحت بتجاوز عقبات المنهج التقليدي أمام التأويلات المتعسِّفة، كما أنّها سمحت بتأويل لـ كامل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النص، من خلال نماذج قابلة للتكرار، فليس هنا اجتزاء أو تأملات، بقدر ما هي ممارسة وبحث معرفي يتوسل بجهود ذهنية كبيرة ومنظَّمة.

وإذا كان من ضرورات ظاهرة القراءة المنتهجة كإستراتجية واعية لقراءة القرآن وتحديد أطره من خلال عملية التكرار، والوضوح، فإننا نستطيع أن نصف **القراءة المعاصرة** بـ"**الظاهرة المنهجية**"، خصوصاً منذ عقد التسعينيات، حيث ساهم في هذا التحول الضجة التي تمخضت خاصة عند صدور كتاب محمد شحرور "**الكتاب والقرآن–قراءة معاصرة**"، هذا الصَّخب الذي لم ينته بعد، والذي يعكس استفزازاً حقيقياً لمنظومة العقل المسلم المعهودة.

ـ المرحلة الثالثة: القراءات التأويلية المعاصرة للقرآن الكريم

كانت المناهج التراثية السابقة في التفسير تحول دوماً دون إقامة تأويل منهجي معاصر، يستغرق كامل النص القرآني، مما جعل التأويلات المنتهجة التي مورست عليه تبدو نشازاً، وترقيعاً لغويا ومعرفيا ومنهجيا، بحيث قلّما عالجت هذه المناهج الظاهرة القرآنية دون تعسُّف في التأويل، وتحميل النّص مالا يحتمل، ولكن مع وجود القراءة المعاصرة التي استبدلت المناهج القديمة(**التفسيرية التراثية**) شهدنا للمرة الأولى تأويلاً نصانيا لكامل القرآن، فيه كثير من التماسك، والشمول المنهجي، بحيث أمكن إقامة توليفاً شاملاً للنص، أتاح فرصة لبعض الدارسين من المغالين في استعمال المنهج أثناء عملية التأويل، وضرورة إقحام الأدوات الإجرائية والآليات النقدية للمنهج بإسهاب أدى إلى تحويل نصوص القرآن وكأنها حواشٍ ماركسية ينفي من خلالها الله ذاتهَ، إذ تعدّ قراءة "**محمد شحرور**" السالفة للذكر نموذج صارخ لذلك؛ بحيث أن هذه القراءة حاولت مخاتلة النّص القرآني وخداعه أحياناً من موقف مضادٍ له، أو معادٍ له، لاستنطاقه بالمناهج الغربية.

وبوصول القراءة التأويلية للقرآن الكريم إلى هذا الانحراف الخطير والتشوه المنهجي والمعرفي الذي شمل كلّ المعاني والألفاظ والدلالات، استبّدت المخاوف في أوساط الباحثين المشتغلين على الدراسات القرآنية المعاصرة، وفي ظلّ التوجهات النقدية الغربية خاصة على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما آل التأويل، والعبث الفاضح بدلالات النص القرآني، والخوف من كل تأويل معاصر، خصوصاً عندما أصبحت تلك الممارسات التأويلية مقرونة باسم "**القراءة المعاصرة**"، لقد تسبب ذلك في تزايد الشك المعرفي والمنهجي بالغرب؛ كونه مصدر تلك المناهج والأدوات وحتى الأيديولوجيات، وفي تشكيك البعض في قيمة تلك الأدوات والمناهج الحديثة جملة وتفصيلاً، وعليه تبدو أغلب القراءات التي صالت وجالت في الدرس القرآني نوعا من السذاجة الوظيفية في الربط بين المقدس، والتأويل الوضعي للآيات والسور مما خلق أزمة على صعيد المنهج وتلك الدارسات، و لم يكن من سبيل في مواجهة تلك القراءات سوى باتهامها وفضحها.

وأمام هذا التناقض والمثقافة النقدية المفروضة علينا من الغرب كان علينا التمييز بين القراءة المعاصرة كنظرية، وبين القراءة المعاصرة كتطبيقات قائمة ومنجزة حتى الآن في دراسة الخطاب القرآني فهو خطاب إلهي، ولايجوز بأيّة حال العبث به، أو تأويليه بما ليس فيه، فثمّة مسافة تفصل بينهما؛ بحيث يمكن النظر إلى تلك الدراسات التطبيقية المعاصرة لما فيها من سلبية، والكثير من خيبة الأمل، وإذا كان لنا أن نذكر فضل تلك القراءات، فإننا نذكر نجاحها في التنبيه إلى قيمة المناهج الحديثة، وقدرتها العالية على ممارسة التأويل، وإن كان ما تمّ ممارسته عملياً من تلك المناهج والأدوات حدّ ضئيل في الغالب في حقل الدراسات القرآنية؛ إلاّ أنّه في نهاية الأمر لا يتجاوز بعض المبادئ الأولية فيها (**كالبنية، أوالدراسة التزامنية، أوالتمفصلات الدلالية، أو العلامات السيميائية..**،) وهي مبادئ اللسانيات البنيويّة، أو بعض المقولات التأويلية العلاماتية، وبعض مقولات الأسلوبية.

وفي مقابل هذا كلّه نذكر أنّ الدراسات القرآنية المعاصرة التي كانت تستعين بالمناهج الغربية في عملية التأويل، واستنباط الدلالات العميقة التي وظّفت لها تلك المناهج تحت مظلّة المعاصرة والتجديد كانت سبباً في تصعيد التوجس من أي محاولة جديدة في التأويل أوالمراجعة النقدية، وهو أمرٌ يضاف إلى المساوئ العديدة التي أفرزتها تلك القراءات المغالية، والتي انحرفت عن منهجها التأويلي التفسيري، ومع هذا الخلط الكبير نجد بعض الباحثين من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طلبة الدكتوراه والماجستير كانوا يتوخون الحذر الشديد من انحراف الدراسات القرآنية عن فحواها في استخدام المنهج، أو التأويل الصحيح للدلالات، أوعملية التطبيق السليم للآليات المستخدمة من طرف الباحث المحايد.

وعموما نجد أنّ بعض الباحثين لم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من اتهام للمناهج التي استُخدمت في تطبيقات القراءة المعاصرة، فقد كان وعيهم لطبيعة تلك المناهج، والطريقة التي استُغلت فيها عميقاً، مما دفعهم للإصرار على التعامل معها والاستفادة منها دون توجّس، خاصة مانعثرعليه في دراسة الباحث الجزائري "**دفة بلقاسم**" الموسومة بعنوان(**بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية**)، والتي عالج فيها قصة يوسف عليه السلام من خلال ثلاث محطات سيميائية هي: الوظيفة المرجعية للقصة- الآليات الدينامية للقصة – تمفصلات بنية القصة وحقولها الدلالية التي جسدت ست وحدات سيميائية دالة)، وهذه الدراسة منشورة في أعمال الملتقى الرابع السيمياء والنص الأدبي منشورات قسم الأدب العربي-جامعة محمد خيضر بسكرة، كما نعثر على دراسة الباحث المصري"**أسامة جاب اللّه**" الموسومة بعنوان (**جماليات السرد القرآني في قصة ذي القرنين: دراسة سيميائية**) والتي عالج فيها قصة ذي القرنين ومافعله من خلال طوافه بمشارق ومغاربها حيث تناول فيها السرد القصصي، والتمفصلات السيميائية التي صاحبت القصة القرآنية من خلال نظرية التمفصلات الصوتية لأندري مارتيني المنشورة في مجلة علوم إنسانية www.ulum.nl السنة السابعة العدد45 شتاء 2010.

كما نعثرعلى العديد من دراسات طلبة مابعد التدرج في رسائل الماجستير والدكتوراه المنشورة أو المخطوطة التي عالجت القصص القرآني معالجة نقدية معتمدة على المناهج النصانية خاصة البنيوية والسيميائية..، والتي مازالت بعد لم تتشكل لدى أصحابها من الباحثين أو المنظرين إشكالية إخضاع النص القرآني للمنهج، وما هي الطرق والآليات التي يمكن من خلالها التوصل إلى التحليل المعقول منطقيا ومنهجيا، وفي ظل هذا الإشكال المنهجي تبقى تلك الدراسات مازالت تبحث عن التجديد والتأصيل حتى نصل إلى رؤية حداثية تحافظ على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قداسة القرآن من جهة، وعلى روح المنهج من جهة ثانية، كما لانـــنس في هـــذا الصـــدد الدراسات الإستشراقية التي تناولت النص القرآني دراسة وتمحيصا من خلال أبحاثهم في مجال لسانيات النص المقدس، أومسألة القصص القرآني وإخضاعها للمنـــاهج النقديـــة، أومســـألة البحث والخوض في الإعجاز العلمي واللّغوي لبعض القضايا والمفاهيم..، إلخ.

وتعدّ أول دراسة في هذا الباب دراسة المستشـــرق اليابـــاني "توشـــهيكو ايزوتســـو" Toshihecko Izots، في كتابه "**بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن**" عام 1950م، وكان باللغة الانجليزية وما يزال كذلك، ثم كتب عدد من المستشرقين الفرنسيين أمثـــال "**آلارد**"، وغيره دراسة طبق فيها علم الدلالة اللساني في كتاب "**تحليل مفهومي للقرآن**" عام 1963م، وفي عام 1964م نشر معهد كيوتو للثقافة والدراسات اللسانية في طوكيـــو دراســـة باللغـــة الإنجليزية للمستشرق الياباني المذكور آنفاً، بعنوان: "**الله والإنسان في القرآن: علـــم دلالـــة التصور القرآني للعالم**"، [8] حيث خلص إلى تصور لأكثر من 103 مفاهيم عقدية في القـــرآن تكاد تطابق ما عليه جمهور المسلمين، حتى ليبدو أن كاتب هذه الدراسة هـــو واحـــد مـــن المسلمين، إذ استطاع في دراسته أن يكون موضوعياً حيادياً، ومن جهة ثانية درس **ايزوتســـو** اللّغة العربية لمدة عامين كاملين في البلاد العربية لهذه الغاية، وحـــاول تفهـــم وجهـــة نظـــر المسلمين؛ ما سمح له أن يقترب أكثر من الموضوعية، إن الشيء الأكثر أهمية في دراسته أنهـــا تثبت أن الدراسة اللسانية للقرآن ليست دوماً ضد القرآن، وهذا مايجعل بعـــض دراســـات المستشرقين مقبولة لعد تعارضها مع النص المقدس والمساس بمكانة هذا الكتاب الإلهي.

2ـ1. إشكالية المنهج في الدّارسات القرآنية:

تتميّز المناهج الحديثة وأدوات البحث الألسنية ونظرياتها بتنوع وتعدد واسعين، وداخل كل منهج هناك مدارس واتجاهات، وعندما تمت محاولات -القراءة المعاصـــرة - للقـــرآن الكريم من خلال تلك المناهج، لابدّ أنها اصطدمت بهذا التنوع والتعدد المنهجي، فكيف إذن مارست حضورها من خلال هذا الواقع؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الطبيعي والحال هذه أن تكون طريقة التعامل مع تلك المناهج "**انتقائية**"، ولكن هذه الانتقائية قلّما تقوم على معطى معرفي، أي قلّما يفرضها البحث المعرفي نفسه، فقد قام معيار هذه الانتقائية طبقاً للممارسات الإيديولوجية التي يحملها المتلقي، فأزمة الإيديولوجية والمنهج المناسب للقراءة تفرض حضورها دوماً في أثناء عملية القراءة المعاصرة للنصوص، في ظلّ أدوات تلك المناهج التي تبحث دوما عن شرعية معرفية ونقدية من أجل الخوض والتسليم لها بقراءة النص القرآني.

إذا تجاوزنا قضية الانتقائية تلك، فسيوقفنا ما أشرنا إليه سلفا من الإشكالية الحقيقيّة لتلك المناهج التي تتمثل في استخدام مناهج وأدوات بحث أُنشئت وصيغت لدراسة وبحث النّص البشري الإنساني – بمعنى أنها مفعمة بالوضعية – لدراسة نصّ مقدس إلهي المصدر، مفارق للوضعية البشرية، إنّ أية قراءة تتجاوز هذه الإشكالية دون حلولٍ، ستقوم بشكل أو بآخر– بأنسنة الذات الإلهية– المنزهة عن كلّ شيء وهذر شيء خطير في الحقل المعرفي المعاصر، كم أنّ مسألة تحييد تلك المناهج والأدوات عن جرعتها الوضعية أمرٌ في غاية الصعوبة؛ ولكنه ممكن، ولا يمكن بحالٍ الاستفادة من تلك المناهج دون ملاحظة هذه الإشكالية ووعيها، فالشرط الأساسي للقراءة بتلك الأدوات والمناهج لتحقق مشروعيتها هو مراعاة خصائص النّص القرآني، أي تطويع تلك المناهج والأدوات لخصائصه كنّص ديني إلهي المصدر، وبالتالي نصل إلى منهج يراعي خصائص القرآن والأدوات التي تستعمل في التحليل دون خلفيات مذهبية أو علمانية أوإلحادية تمس بهيبة النص القرآني ومشاعر المسلمين معا.

المحور الثاني: مقاربة سيميو لسانية تطبيقية(لـ قصة أصحاب الكهف)

يرى النقد النصاني أنّ أهم إشكال في عملية مقاربة النص القرآني هو انعدام الفهم الحقيقي للباحث في المعاني، والصور البلاغية، والانزياحات والأسلوبيات التي تكتسي القرآن، أي إنّ الفهم العميق للنص القرآني ينطلق من تموقع الدارس في مكانه الحقيقي وإعادة الاعتبار للمقدس والمنهج المطبق في دراسته معا، فالمقارب للنصوص القرآن ماهو إلا قارئ للأعمال السابقة التي تناولت التطبيقات عليه، حتى يشعر بالتواصل المعرفي مع من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبقه في هذا المجال النقدي والفني والجمالي لسور القرآن، وآياته والتمتع بكلام اللّه تعالى وفهم دلالته، فليس هنا مجال للمقاربة بين الدراسات السابقة والدراسات المعاصر فالمناهج تبدلت والرؤى تغيرت، والنص القرآني صالح لكلّ زمان ومكان.

2.2. الدّراسة السيميولسانية للقصة القرآنية أصحاب الكهف:

تقوم هذه الدراسة البحثية على استراتجية منهجية تعتمد على معالجة جملة من المحطات العلاماتية، وهي موزعة كالآتي:

أ- سيمياء العنوان:

تعدّ مقولة **العنوان** مدخلا مهما، وعتبة حقيقية تفضي إلى غياهب النص وتقود إلى فك الكثير من طلاسمه وألغازه، لكنه أحيانا، قد يلعب دورا تمويهيا، يجعل القارئ في حيرة من أمره، يربكه ويخلق له تشويشا قهريا، وقد يقوده إلى متاهة حقيقية لا مهرب منها سوى إلى النص ذاته، إنه البداية الكتابية التي تظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري ومحفز للقراءة، وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص وتسميه وتميزه عن غيره، وهو كذلك من العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيس إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدمات والمقتبسات والأدلة الأيقونية [9]

لقد دخل العنوان في القرآن الكريم مرحلة التطور بمجيء الإسلام، حيث تم جمع القرآن الكريم وتدوينه، وتمييز السور بعضها عن بعض، وذلك بكتابة العناوين على رأس كل سورة وإشادة بأسمائها، وما فيها من آيات مكية ومدنية [10].

حيث كانت أمة العرب في ذلك الوقت تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خُلق أو صفة تخصه، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة بما اشتهر فيها، وعلى هذا جرت أسماء سور القرآن، كتسمية البقرة بهذا الاسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء[11] وغير ذلك من التسميات المتداولة، كما سمى الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عز وجل القرآن الكريم بأسماء كثيرة ذكرت في آيات عديدة دالة على ذلك حتى يبين للإنسان أنه وضع له عناوين مميزة وعلى هذا الأساس سنقوم بتحليل "**عنوان قصة أصحاب الكهف**" ذلك من خلال استنطاق عنوان السورة، وفك شفراتها العلاماتية، وربطها بمتن النص القرآني.

والناظر إلى معظم الدراسات المعتمدة على مقاربة العنوان يدرك بشكل واضح الأهمية القصوى التي يحظى بها العنوان باعتباره نصا مختزلا ومكثفا ومختصرا [12] له علاقة مباشرة بالنص الذي وسم به، فالعنوان في النص القرآني يشكلان ثنائية والعلاقة بينهما هي علاقة مؤسسة إذ يعدّ العنوان مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة وأخرى استراتيجية إذ يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي [13].

فعنوان "**قصة أصحاب الكهف**" الذي عنونت به السورة الذي نحن بصدد دراستها هي قصة من بين القصص الأربع التي وردت في بداية السورة القرآنية، يقول اللّه تعالى: **{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءاياتنا عَجَبًا(9)}** [14]، حيث نجد المركب الإسنادي أصحاب الكهف، واستنادا إلى عنوان السورة "**الكهف**" وآيات السورة، هو عنوان دال بالدرجة الأولى على الشخصيات المحجوبة وهم فتية ظهروافي القرن الثالث الميلادي في عهد الإمبراطور الروماني دقيانوس الذي كان يحمل الناس حملا على عبادة الأصنام ويعذّب من يخالف ذالك[15]، ففر هؤلاء الفتية بدينهم ولجئوا إلى الكهف، وعليه من المرجعية التاريخية للقصة تتفجر الدلالات السيميائية لعنوان "**أصحاب الكهف**" الذي أسندت فيه لفظة الكهف، وهي جمع صاحب إلى لفظة الكهف.

هذا الفضاء المكاني الذي يوحي لبداية الوحدة والوحشة، والظلام والخوف من المستقبل الآني، ولكن بمجرد اتصاله بالمسند " **أصحاب**" تتحول كلّ الدلالات السابقة إلى دلالات إيجابية أكثر إشراقا وأمنا، فيتكون لدينا حقل دلالي جديد هو(**الأنسة، الأمن**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطمائنينة، الإيواء واللّجوء..،)، وهذه العلاقة الروحية تجسدت تدريجيا بتدخل السلطة الإلهية فحصلت العلاقة الإستئناسية بين الفتية والكهف دامت طيلة فترة المكوث في الكهف، فكانت المعاني الدلالية لصوتي: "**الهاء/الحاء**" أكثر حضورا لتتشكل علامة الأسنة التي عرفها الكهف والفتية معا من خلال "**هاء السكت**" التي توحي بالصمت والسلام الذي هيمن عليهما معا، كما يتشاكل معها صوت "**الحاء الاحتكاكي**" الذي عرفه الفتية طوال فترة الغيبوبة الإلهية التي عرفوها داخل الكهف، وهنا تنزاح صور الخوف والحزن التي صاحبت الفتية إلى مشهد السكن والملجأ الذي ارتموا فيه هربا بدينهم من ظلم الحكام، وعموما يطغى هذا المعنى على كامل السورة من خلال المعاني الإيمانية التي تحملها عبر الصيرورة التاريخية لبقية القصص التي وردت في السورة لتكون العبرة الدينية منها تدريجيا.

بـ سيمياء البنى السردية:

تعدّ الدراسات السيميائية في القصص القرآني وبنياته السردية من المواضيع الهامة التي تتطلب ممارسة واعية في عملية تشكيل البنى السردية، وخصوصية كلّ بنية وعلاقاتها القبلية والبعدية على اعتبار أنّ القرآن الكريم ليس مفصلة معانيه بل هي لحمة واحدة هذا كلّه من أجل غاية إيمانية تبليغية بحتة على اعتبار ماستكون عليه نهاية القصة عموما، وفي هذا السياق نشير إلى أن الإجراءات السردية للخطاب السردي تنسجم مع المنطق السردي وروائع الإبداع، وعن طريقها يصل الدارس إلى رصد ملامح الخطاب السردي، غير أن السرد في الخطاب القرآني يختلف عن السرد في الخطاب الأدبي؛ فمصدرية السرد في الخطاب القرآني تحيل إلى الله – جلت قدرته – وتهدف إلى الكشف عن عقيدة التوحيد للمتلقي، بينما مصدرية السرد في الخطاب السردي الأدبي وعليه القرآن الكريم ليس كتاب قصص، بل كتاب دعوة وتشريع، وإن وردت فيه بعض قصص الأمم السابقة، فإنها في سياق الدعوة إلى الإيمان والتوحيد لا أكثرولا أقلّ، ومن هنا ينبغي أن يكون النظر إلى القصة القرآنية بنظرة مخالفة عن القصة الأدبية، إذ القصة القرآنية ليست للتذوق الأدبي أو للمتعة، بل هي فريدة في طابعها وغايتها وتكوينها، إذ السارد وهو- الله سبحانه وتعالى- يتحرك بالمسرود ضمن وعي مسبق، لا شأن فيه لمنطق المفاجأة، وما يسرده

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشير ويوحي إلى وقائع تجسد بسرديتها الموضوع والفكرة المنسجمة مع روح العقيدة الإسلامية، ولهذا من الممكن التعامل مع الإشارات "signes " والرموز " symboles " في هذا النص السردي " **قصة أصحاب الكهف** " بتقسيم النص القرآني دلاليا إلى عدة وحدات سيميائية "unités sémiotiques " تشكل لنا المعنى العلاماتي الذي تبحث فيه كلّ وحدة سيميائية دالة، نجسدها في الوحدات الآتية:

1ـ**الوحدة السيميائية الأولى الدالة على هروب الفتية من المدينة إلى الكهف**:

ويتضح هذا من خلال قول اللّه تعالى: **{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءاياتنا عَجَبًا(9)إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(10)}** [16] تبدأ أحداث هذه القصة بهروب الفتية من ظلم المدينة الجائرة حفاظا على دين التوحيد فاختاروا الكهف مكانا يلجؤون إليه ومأوى لهم، وفي كليهما يبرز الحقل الدلالي الذي يحمل العلامات اللّغوية الدالة على اللّجوء إلى الكهف والتضرع إلى اللّه تعالى ليحميهم من بطش الملك الظالم دقيانوس[*]، حيث تتمثل لنا أثناء القراءة مجموعة من الدلالات الآتية، وهي: (**أصحاب الكهف، أوى، الكهف، لدنك، رحمة، هيئ رشدا**) فالوحدة الدلالية هنا تنقسم إلى حقلين هما:

أ- **الحقل الأوّل**: (**أصحاب الكهف، أوى، الكهف**) وهي علامات دالة على اللّجوء إلى الكهف وهجرة الأهل والأوطان خوف الفتنة ورجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين[17]

هذه الرمز السيميائية إلى أفقية التتابع السردي للأحداث من خلال التمثيل البياني الآتي:

أصحاب الكهف ← الفعل أوى ← الكهف

إنّ مسألة استرجاع الأحداث السابقة، وهي الهروب من بطش المدينة الضاربة في عبادة الأوثان والظلال فتنشأ ثنائية ضدية **المدينة/ الكهف** لتنزاح المعاني من العادية لتخرج إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معناها العلاماتي لتصبح المدينة بشساعتها، وامتداد فضاءاتها المكانية رمزا للضيق، والضبابية، والظلم..، وبذلك يتحول الكهف – المكان – المظلم الموحش رمزا من الأمن والاستقرار والسكينة.

ب– **الحقل الثاني: (لدنك، رحمة، هيئ، رشدا)** وهذه العلامات السيميائية توحي بفعل الإحساس بالاستقرار لتنتشر دلالا لتها عبر الفضاء المكاني فيصبح عندها الكهف الضيق مأمنا يحمي الفتية ويوفر لهم السكينة الروحية التي يبحثون عنها من خلال الاهتداء إلى الرشد والطريق المستقيم، والثبات عليه.

2ـالوحدة السيميائية الثانية الدالة على موت الفتية وبعثهم من جديد:

وتتجسد تلك المعجزة في قوله تعالى: **{ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(11)ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(12)نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13)وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا(14)هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا(15) وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا(16) }**[18]، نجد إذن العلامات السيميائية البارزة في الآيات السابقة تتمحور في عدّة حقول منها:

أ– **الحقل الأوّل: (فضربنا، أذانهم، سنين، عددا، بعثناهم، أحصى)** وهي علامات محصورة في ثنائية **النوم/البعث**، ويبدوا أنّ كلّ هذه العلامات اللّفظية تحمل شحنة دلالية توحي بالقوة، فـ"**ضربنا**" مثلا توحي بالاستغراق في النوم فقد حجبت أسماعهم عن كلّ وقع وحركة وحسّ[19]، فاللّفظة هنا بسطت قوتها، واستغراقها على العامل الزمني، فيصبح الاستغراق تواصلا زمنيا يحمي عقيدة الفتية، ويحقق مبتغاهم في انتشار دين التوحيد، وهذا فعلا ماتشير إليه المصطلحات الدالة على البعث فلفظة –

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعثناهم- هذا المركب الإسنادي مزدوج الدلالة حيث بعث الفتية من مرقدهم وتم بعث الدين معهم ترسيخا للعقيدة الإيمانية.

ب- الحقل الثّاني: (نقصّ، آمنوا زدناهم، ربطنا، قومنا، آلهة، اعتزلتموهم، ينشر، رحمة، مرتفقا) هذه الألفاظ تحمل ضمنيا معنى المكافاءة الإلهية للفتية على صبرهم في سبيل اللّه ومن أجل الله فقط كان هربهم من الظلم والدنيا بأسرها ليرتموا في أحضان عقيدتهم بأن نشرالله عليهم رحمته، فاستغرقوا في نوم السكينة والرحمة، فهذا الحق الدلالي يتسم بمعاني الاستقرار والاعتزال المعنوي والمادي للكفر لتنزاح دلالة لفظة- **قومنا**- من دلالة الانتماء إلى دلالة الاعتزال، حيث يستقطب الكهف المعزول كلّ المعاني الضمنية التي يبحث عليها الفتية من (**رحمة/سكينة/انتماء**)، وهذا مانلمسه من خلال الحميمية الروحانية التي تتسع لها كلمة- **مرفقا**-.

3ـالوحدة السيميائية الثالثة الدالة على مشهد الفتية:

نجد في هذا الصدد قول اللّه تعالى: **{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءايات اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا(17)وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(18)}**[20]، ويمثلها **الحقل الدلالي** الآتي: (**الشمس، طلعت، تزاوروا، أيقاظا، رقود، نقلبهم، كلبهم، الوصيد، فرارا، رعبا**)، فهذا الحقل الدلالي يعجّ بالتحولات العلاماتية، والإنزياحات اللّفظية والصوتية، فالشمس التي هي رمز الضياء الأبدي نجدها تزّاور، وتميل بمقدرة الله تعالى حتى يتحول نورها إلى ظلام داخل الكهف لأنّه حسب المرجعية التاريخية للقصة فأنّ الشمس إذا طلعت مع اللّه تعالى ضوءها من الوقوع عليهم، وكذا القول في حال غروبها، وكان ذلك خارقا للعادة، وكرامة عظيمة خصّ اللّه بها أصحاب الكهف[21]، وهذا حتى لايضرهم حرّ الشمس، ثم تأتي ثنائية "**أيقاظا/ رقود**"، وهي توحي إضافة إلى الحالة الجسدية التي كانوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليها من عملية الفتح للأعين أثناء النوم العميق، لتوحي استشرافيا أنّ هذا النوم أو الموت المؤقت سيؤول إلى استيقاظ فيما بعد ليشمل المدينة أيضا ويخرجها من ظلالها، إذ تحولت المدينة زمنيا من عبادة الأوثان فيما سبق إلى عبادة اللّه أثناء بعثهم.

وعليه فالمركب الإسنادي – **تقلبهم**- يوحي لنا بحركة الفتية حتى لاتبلى أجسادهم وصيرورة الزمن، وهم على تلك الشاكلة المرعبة وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد أي أنّه كان نائما على عتبة فناء الكهف يوحي للقادم أنه حارس لهم من كلّ خطر قادم نحوهم ليكتمل مشهد الأمن والحراسة والاستقرار الذي خصهم به اللّه تعالى، كما يثير الرعب في كلّ من يريد الاقتراب من الكهف.

4ـالوحدة السيميائية الرابعة الدالة على المدة الزمنية التي قضاها الفتية داخل الكهف:

نجد اللّه تعالى يشير إلى ذلك: { وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا(19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا(20)وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(22)وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(23)إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا(24) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا(25)قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(26)}[22]، وتنقسم هذه الوحدة إلى حقلين دلالي هما: (**لتساءلوا، يوما أوبعض يوم، ورقكم، وليتلطف، يشعرنّ، أعثرنا،**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسجدا، بنيانا، قل اللّه أعلم) نجد مفردات هذا الحقل تشكل علامات دالة على الريبة، والخوف، والإبهام، والحيرة التي أصابت الفتية عند استيقاظهم لتعرفنا تلك المفردات بالحالة الشعورية للفتية الذين ارتابوا في مدة مكوثهم داخل الكهف ليجدوا في الرمز الدلالي الذي فكّ لغزهم وأزال الحيرة بينهم وهو الورق المضروب من الفضة الذي عرّفهم بحقيقة أمرهم وما حدث لهم داخل الكهف، والتي ستتكشف لأهل المدينة وأشرافها من خلال لفظة- أعثرنا- أما لفظتي- مسجدا، وبنيانا- فتدلان على معنى القداسة المطلقة التي حظي بها الفتية عند أهل المدينة بعد ثلاثة قرون، كما أنّ هتين اللّفظتين توحيان لنا بالصمود والبقاء، لتتحول كلّ الإيحاءات الخفية السابقة التي يلفها الغموض إلى إيحاءات دالة على وحدانية اللّه وقدرته في إحياء الموتى وبعثهم، وهذا بيان للناس، ليأتي المركب الإسنادي الأخير)**قل اللّه أعلم**(ليسموا بمقدرة اللّه تعالى عن كلّ ريب ورجم وتنازع بين أهل المدينة لمعرفة أخبار فتية الكهف، فالله أعلم بكلّ ماخفي، ويخفى.

ـ خاتمة الدّراسة:

رغم عناية المسلمين الفائقة بالقرآن على مدار العصور، إلا أن الظروف التاريخية التي مرت بها المعرفة الإسلامية جعلت الدراسات القرآنية أسيرة لمدونات تفسيرية معينة، و لم تكن هناك إضافات نوعية فيما استجد من دراسات، بما في ذلك دراسة المفاهيم والمصطلحات، ويرجع ذلك إلى أزمة المنهجية في تلك الدراسات، فالإسقاط كان ولا يزال آفة الدراسات القرآنية سواء لرؤى عقائدية أو مذهبية، ودراسة النص من خلال مفاتيحه بعيداً عن القبليات كمخرج من هذا المأزق بحاجة إلى تأطير وضبط منهجي.

فكانت المقاربات السيميائية محاولة لتسليط الضوء على الآليات المفترضة والمتاحة التي يمكن أن تسهم في تجلية معاني المفردات القرآنية، ولا تنفصل هذه الآليات عن علوم اللغة المجال الرئيسي لفهم المعاني، فحاولنا في هذا الصدد الإشارة إلى دور الدراسات التراثية، اللّغوية والتأويلية لقراءة القرآن الكريم قراءة معاصرة من أجل الوصول إلى الإحاطة التامة بالدراسات البحثية في القرآن من أجل تطوير المناهج المستعملة في الدراسات، وخلصنا إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحديد عناصروخطوات منهجية محتملة في قراءة القصص القرآني قراءة سيميائية تراعي المنهج وتحترم المقدس من جهة ثانية دون إفراط ولا تفريط.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص.

ب- المراجع:

1- **أحمد حسين الزيات**: تاريخ الأدب العربي، دار الوفاء القاهرة، مصر، ط2، 2002،

2- **الجصّاص**: أبو بكر الرازي الحنفي (ت370هـ)، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل النشمي، ج1، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، 1994م.

3- **الطيب بودربالة**: قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء، والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 15، 16، أفريل، 2002

4- **بدر الدين بن عبد الله الزركشي**: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ج1، ط 3، 1980.

5- **جميل حمداوي**: صورة العنوان في الرواية العربية،

http: //www.arabicnadwah.com/articles/unwan-hamadaoui.htm

6- **محمدهمام**: أزمة المنهج في الدراسات القرآنية،

http: //www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=17982/24-10-2010

7- **محمود السيد حسن**: روائع الأعجاز في القصص القرآني- دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الإسكندرية- مصر، ط2، 2003.

8- **محمد سيد طنطاوي**: القصة في القرآن الكريم،، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ج2، ط1، 2003

9- **محمد شحرور**: الكتاب والقرآن (قراءة معاصرة)، طبع في دمشق، سوريا، ط1، 1990.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- **منذرعياشي**: اللّسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1،. 1996

11- **نصر حامد أبو زيد**: مفهوم النّص- دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت- سوريا، ط1، 1990.

12- **عبد الرحمان حاج إبراهيم**: المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويلـه، رسـالة المسجد، ع1، جمادى الثانية 1424هـ/ أوت2003.

13- **شادية شقروش**: **سيميائية** العنوان في "مقام البوح" لـ: عبد الله العيش، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 6، 7، نوفمبر، 2000.

الهوامش:

(1) منذر عياشي: اللّسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1996، ص 13.

(2) ظهر المصطلح لأول مرّة مع مصطفى محمود عام 1970م، في مقالات مجلّة صباح الخير، التي جمعهـا في كتاب تحت عنوان: "القرآن: محاولة لفهم عصري".

(3) نعتبر طرح أمين الخولي لـ«التفسير البياني» إحياءً لمنهج تراثي، أكثر منه منهجاً جديداً، كونـه لا يمـت إلى المناهج الحديثة بصلة كبيرة. ولذلك نعتبر تجربة حاج حمد في العالمية الثانية البداية.

(4) محمد همام: أزمة المنهج في الدراسات القرآنية،
http: //www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=17982/24-10-2010

(5) محمد شحرور: الكتاب والقرآن (قراءة معاصرة)، طبع في دمشق، سوريا، ط1، 1990، ص22.

(6) نصر حامد أبو زيد: مفهوم النّص- دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، سوريا، ط1، 1990، ص28، 24.

(7) الجصّاص: أبو بكر الرازي الحنفي (ت370هـ)، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل النشمي، الكويـت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ج1، ط2، 1994، ص307.

(8) عبد الرحمان حاج إبراهيم: المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويلـه، رسـالة المسـجد، ع1، جمادى الثانية1424هـ/ أوت2003، ص12، 11.

(9) جميل حمداوي: صورة العنوان في الرواية العربية،
http: //www.arabicnadwah.com/articles/unwan-hamadaoui.htm

(10) أحمد حسين الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار الوفاء القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص 33.

(11) بدر الدين بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ج1، ط 3، 1980، ص 273، 274.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(12) الطيب بودربالة: قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء، والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 15، 16، أفريل، 2002، ص52.

(13) شادية شقروش: سيميائية العنوان في "مقام البوح" لـــ: عبد الله العيش، محاضرات الملتقى الـــوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 6، 7، نوفمبر، 2000، ص271.

(14) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 09.

(15) محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصـــر، ج2، ط1، 2003، ص264.

(16) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 09، 10.

(*) دقيانوس: إمبراطور روماني عاش في القرن الثالث الميلادي.

(17) محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، ج2، ص 241.

(18) محمود السيد حسن: روائع الأعجاز في القصص القرآني– دراسة في خصـــائص الأســـلوب القصصـــي المعجز، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الإسكندرية، مصر، ط2، 2003، ص63.

(19) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 11، 16.

(20) محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، ج2، ص 250.

(21) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 26، 19.

(22) سورة الكهف، الآيات:19–26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com